الباب الرابع
الكعبة المشرفة
الكعبة مركز العالم

سر أسرار الكعبة المشرفة يتجلى في أن الله ﷻ هو الذى أختار مكانها بنفسه فنحن نبنى المساجد ونختار لها الأماكن ولكن الله ﷻ هو الذى اختار مكان الكعبة بنفسه لذلك فهى تتوسط الكرة الأرضية من جميع الاتجاهات شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فقد أوصت دراسة علمية أجراها المعهد القومى للبحوث الفلكية والجيوفيزيائية بالقاهرة أن الكعبة المشرفة تمثل مركز الأرض وقد أوضحت الدراسة أن مكة المكرمة وكعبتها المشرفة هما مركز لدائرة نصف قطرها ثمانية آلف كيلو متر بأطراف القارات القديمة آسيا وأفريقيا وأوروبا ، كما أنها أيضا مركز لدائرة نصف قطرها ثلاثة عشر آلف كيلو متر تمر بأطراف القارات الجديدة ، أمريكا الشمالية ، وأمريكا الجنوبية ، واستراليا والمتجمدة الجنوبية .

وأشارت الدراسة أيضا إلى أنه من المحتمل أن تكون مكة المكرمة مركز اليابسة قبل تزحزح القارات وانفصال بعضها عن بعض فى العصور الجيولوجية السخية .[1]

فإذا كانت الكعبة المشرفة التى هى قبلة المسلمين هى فى البقعة المباركة والمكان الوسط فهى فى وسط الكوكب الأرض متوسط دنيا الناس شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فينم ذلك على أن الله ﷻ هو الذى اختار مكان رسالته وموقع قبلة الصلاة ومهبط له فى هذا المكان الوسط

---

[1] مجلة سر الإسلام الإماراتية ذو الحجة ١٤١٩ هـ مارس ١٩٩٩ م نقلا عن الحلة العربية عدد ٢٤٨ / ١٩٩٩ م .

الذى يتسق مع وسطية الدعوة السمحة ويتناسب مع الرسالة العامة الخالدة لترسل أشعة النور والهداية إلى من حولها من جميع بقاع العالم . وهكذا اقتضت الحكمة الربانية أن يكون المكان وسطا فى جغرافية الأرض لتتمكن الدعوة من أن تنتشر فى ربوع الأرض وتؤدى أمة الإسلام أمانة التبليغ التى حملها الله تعالى إياها حيث نزل الوحى قرآنا وسنة بلسان عربى مبين ، وفى أمة عربية وفى مكان وسط من العالم كل هذا يؤكد وجوب تبليغ الأمانة التى كلف الله تعالى هذه الأمة بها وشرفها بإنزال الوحى على أرضها وأرسل رسولا من أنفسهم وقيام القبلة الكعبة المشرفة فى هذا المكان الظاهر والحرام الأمن فى قلب العالم .. وهكذا تتكشف حقيقة نزول الوحى الإلهى فى البلد الحرام والقبلة المشرفة داخل المسجد الحرام فمكة المكرمة هى مركز الكرة الأرضية ووسط العالم بأسره ..

الفصل الأول

أيهما أقدم وجوداً مكة أم الكعبة ؟

والإجابة الحاسمة بناء على النصوص الموجودة بين أيدينا أن الكعبة المشرفة أقدم وإنها عاصرت التاريخ الإنساني .

قال تعالى :

" إنّ أول بيت وُضع للناس للذي ببكة مُباركا وهُدى للعالمين " آل عمران / ٩٦

يقول المفسرون :

إن المراد هو أن البيت الحرام " الكعبة " أول بيت وضع للناس وكان الهدف أن يعبد الله فيه وأنه كان موجودا قبل هبوط آدم عليه السلام إلى الأرض فلما هبط آدم أمر بأن يحج إليه ويطوف حوله حتى لا تتوقف الصلة بين الخالق والمخلوق .[1]

والذى يبين لنا أن الكعبة المشرفة إنما هى أقدم من مكة ما يلى :

قد أورد السهيلى فى الروض :[2]

" أن قريشا وجدوا فى الركن كتابا بالريانية فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من يهود فإذا هو :" أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض وصورت الشمس والقمر وحفظتها بسبعة أملاك حنفاء ، لا تزول حتى يزول أخشباها ، مبارك لأهلها فى الماء واللبن "

وهذا ما يدل على أن مكة خلقها الله يوم خلق السماوات والأرض وقد أورد السهيلى أيضا أن الكعبة كانت على الماء قبل أن يخلق الله السماوات والأرض وإليك نصه :

---

[1] تفسير الإمام البغوى ج١ / ٩٣ .

[2] الروض الأنف للسهيلى ج١ / ٢٢٦ .

فـي الخـبر أن موضعـها كـان " أى الكعبـة " غثـاءة علـى المـاء قبـل أن يخلـق الله السماوات والأرض فلمـا بـدأ الله بخلـق الأشـياء خلـق التربـة قبـل السماء ، فلما خلق السماء وقضاهن سبع سـماوات دحـا الأرض أى بسطها وذلك قولـه سبحانه : " والأرض بعد ذلك دحاهـا " النازعات / ٣٠

وإنما دحاها من تحت مكة ولذلك سميت أم القرى .

وعن سعيد بن سلام عن طلحة عن ابن عباس أنـه قـال : كـان العـرش علـى المـاء قبـل أن يخلـق الله السماوات والأرض وبعـث الله تعـالى ريحـا هفاقة فصفت الماء فأبرز الأرض من تحتـها فمـادت ثـم مـادت فأوتدهـا الله تعالى الجبال ولذلك سميت أم القرى .

وعن عثمان بن عبد الرحمن بن هشام قال: خلق الله عز وجـل الكعبـة قبل أن يخلق أى شيء بألف سنة وإن قواعدها فـي الأرض السـابعة "

وعن عبد الله بن عمر قال :

خلق الله الكعبة قبل الأرض بألف عام ودحيت الأرض تحتـها .

وعن ابـن عبـاس قـال : قـال رسـول الله ﷺ : أول بقعـه وضعـت فـي الأرض هـذا البيـت ثـم مـدت منـها الأرض وقيـل إن الكعبـة قـد أنزلـها الله ياقوتـة من السماء مجوفـة .

وعن أبـى ذر قـال سألت رسـول الله ﷺ أى المسـاجد وضـع فـى الأرض قال : المسجد الحرام قلت ثم أى قال : المسـجد الأقصـى ، قلـت كـم بينـهما قال : أربعون سنة " [٢]

وقد روى الواحدى عن مجاهد قال : خلق الله تعـالى هـذا البيـت قبـل أن يخلق الأرض .وفى روايـة قبل أن يخلق شيئا بألف سنة .

---

[١] نفس المرجع السابق / ٢٢٢ .

[٢] رواه البيهقى فى شعب الإيمان .

وعن عبد الله بن عمر قال : إن أول بيت وضع على وجه الماء عند خلق السماوات والارض وقد خلق الله قبلها بألف عام وكان زبدة بيضاء على الماء ثم دحيت الأرض من تحته "

وفي التفسير : أن الله سبحانه حين قال للسماوات والأرض :

" ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين " فصلت / ١١

لم تجبه بهذه المقالة من الأرض إلا أرض الحرم فلذلك حرمها . [1]

وعن ابن عباس : خلق الله الكعبة ووضعها على الماء على أربعة أركان ، قبل أن يخلق الدنيا بألف عام ، ثم دحيت الأرض من تحت البيت . [2]

---

[1] الروض الأنف للسهيلي ج ١ / ٢٢٢

[2] الجامع لأحكام القرآن القرطبي ١٩ / ٢٠٥ .

الفصل الثاني
الكعبة في أبنية الجاهليين وأشعارهم

و ـ ١، الناس في الجاهلية قد فرقوا بين أبنيتهم العادية والبيوت التي كانوا يعظمونها بأن جعلوها هذه البيوت المعظمة مربعة الشكل بينما جعلوا المساكن العادية مدورة

ولما ابتنى حميد بن زهير لنفسه بيتا مربعا استعظمت قريش فعلته وقال قائلها : (ربع حميد بن زهير بيتا إما حياة وإما موتا) [1]

كما كانوا يطلقون على القصر ذى الغرفة المربعة العالية : ذا الكعبات ، وفي هذا المعنى قال المتامس ، الشاعر :

لك السدير ومبارق ومبايض ولك الخورنق [2]

والقصر من سنداد ذو الكعبات والنخل المبثق

ومثله الأسود بن يعفر في بعض الروايات قوله [3]

أهل الخورنق والسدير وبارق

والبيت ذى الكعبات من سنداد

والشاعرين كلاهما ، يقصدان (بالكعبات) الغرف المربعة المرتفعة .

---

[1] نهاية الأرب في فنون الأدب شهاب الدين النوري ج١/ ٣١٣ .

[2] السدير والخورنق قطران متقاربان في الحيرة من بلاد العراق ويقال إن أولهما بناه النعمان الأكبر لبعض ملوك العجم .

[3] معجم البلدان المجلد / ٣ ص ٢٠١ .

الفصل الثالث
الكعبة في الجاهلية

كان العرب في الجاهلية يظمون الكعبة ويطوفون حولها ويذبحون لها وكانوا يقدمون لها القرابين وكانوا يلوثون بدمائهم ولحومهم حيطان الكعبة المشرفة لأنهم لم يفهموا الهدف من النحر وهو التقوى قال تعالى :

" لنْ ينال الله لحومها ولا دماؤها.." الحج / ٣٧

فكانت الناحية الخلقية عندهم ضعيفة ـ غير الأعراف والآداب والقيم الجاهلية التي كانوا يؤمنون بها ويعضون عليها بالنواجد فقد فشى فيهم القمار والميسر وافتخروا به ، وفشت فيهم الخمر وانتشرت القيان ومجالس اللهو وحفلات العزف يُقدم فيها الشراب ، وفشا فيهم بعض الفواحش ، وقد وجد الظلم والقسوة وغمط الناس ، وبطر الحق ، وأكل أموال الناس بالباطل ..

ولا تصوير للحالة الخلقية التي كان يعيشها أهل الجزيرة بصفة عامة وأهل مكة بصفة خاصة أبلغ وأصدق من تصوير جعفر بن أبي طالب الهاشمي ـ وهو ابن مكة الأصيل ـ للحياة العربية والأخلاق الجاهلية أمام النجاشي وقد جاء فيه :

" أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف "[1]

وكانت الناحية الدينية أضعف بحكم بُعد العهد بالنبوات وفشو الجهل وانتشار الوثنية التي اقتبسوها من الأمم المجاورة فغلوا فيها ـ من

---

[1] راجع سيرة ابن هشام ق ١ / ٣٣٦

الناحية الادبية والحضارية فاغرقوا فى الوثنية واولعوا بالاصنام ، فكان فى جوف الكعبة وفنائها ثلاثمائة وستون صنما ، وكان كبيرها عندهم (هبل) وهو الذى نادى به ابو سفيان بعد وقعة أحد . فقال : " أعل هبل " وكان على بئر فى جوف الكعبة وهى التى يجمع فيها ما يُهدى للكعبة وكان بالعقيق الأحمر على صورة الإنسان مكسور اليد اليمنى أدركه قريش كذلك فجعلوا له يدا من ذهب ، وكان أمام البيت صنمان (إساف) و (نائلة) وموضعهما عند الكعبة ، أحدهما يلصق بالكعبة والآخر بموضع زمزم فنقلت قريش الذى يلصق بالكعبة إلى الآخر فكانوا ينحرون ويذبحون عندهما وكان على الصفا صنم يقال له (نهيك مجاود الريح) وعلى المروة صنم يقال له (مطعم الطير) وكان فى كل دار من مكة صنم يعبدونه وكانت (العزى) قريبا من عرفات وكان عليها بيت وكانت أعظم الأصنام عند قريش ، وكانوا يستقسمون عند أصنامهم بالأزلام ، وكانت (الخلصة) بأسفل مكة وكانوا يلبسونها القلائد ويهدون إليها الشعير والحنطة ويصبون عليها اللبن ويذبحون لها ، ويعلقون بيض النعام بها ، وكانت الأصنام يطاف بها فى مكة ، فيشتريها أهل البادية ويخرجون بها إلى بيوتهم .[1]

---

[1] السيرة النبوية للندوى / ١٠٨ وما بعدها

الفصل الرابع

تعدد البيوت التي عرفت باسم الكعبة في الجاهلية

وجد في بلاد العرب بيوت عرفت ببيوت الأوثان والأصنام أو البيوت الحرم يقصدها الحجيج في مواسم معلومة تشترك فيها القبائل من سكان البقاع العربية وكان من أشهر هذه البيوت في الجزيرة العربية بيت الأقيصر ، وبيت ذي الخلصة ، وبيت صنعاء ، وبيت رضاء ، وبيت نجران .

لكن بيت الله الحرام بمكة قد إحتل مكانة لم تتح لغيره من بيوت الأصنام الأخرى في سائر أنحاء الجزيرة العربية ، لأن مكة كانت ملتقى طرق القوافل بين الجنوب والشمال والشرق والغرب وكانت محطة لازمة لمن يحمل التجارة من الشمال إلى الجنوب . وكانت القبائل تلوذ بمثابة مطروحة تتردد عليها . وقد رغب القبائل فيها أن مكة لم تكن فيها سيادة قاهرة على تلك القبائل .

فليست في مكة دولة كدولة التبايعة في اليمن ، أو مملكة المناذرة في الجزيرة ، أو الغساسنة في الشام وليس من وراء أصحاب الرياسة فيها سلطان كسلطان دولة الروم أو الفرس أو الحبشة وراء الإمارات المتفرقة على السواطئ . أو بين بوادي الصحراء ، فهي مثابة عبادة وتجارة وليست حوزة ملك يستبد بها صاحب العرش ولا يبالي من عداه فلم تكن قيصرية ولا كسروية ولا نجاشية . وإنما كانت مكة عربية لجميع العرب ولهذا اجتمعت لها الخصائص التي كانت لازمة لمن يقصدونها ويجدون فيها من يبادلهم ويبادلونه بحكم المنفعة المتبادلة .

والكعبة قديمة سابقة لأسفار العهد القديم في التوراة وقد توارث العرب أن أول من رفع قواعدها هو إبراهيم وابنه إسماعيل على نبينا وعليهما

أفضل الصلاة والسلام قال تعالى " إنّ أوّل بيت وُضع للنّاس للذي ببكّة مُباركا وهُدى للعالمين فيه آياتٌ بيّناتٌ مقامُ إبْراهيم ومنْ دخلهُ كان آمنا"

آل عمران / ٩٦-٩٧

ويقول تعالى " وإذْ بوّأنا لإبْراهيم مكان البيْت أنْ لا تُشْركْ بي شيْئا وطهّرْ بيْتي للطّائفين والقائمين والرّكّع السّجُود " الحج / ٢٦

ويقول تعالى " وإذْ يرْفعُ إبْراهيمُ القواعد من البيْت وإسْماعيلُ " البقرة ١٢٧

من هذه الآيات نفهم أن المنطقة كانت معروفة حتى هيأ الله لإبراهيم أن يرفع قواعد البيت وقد ذكرت المصادر القديمة مكة كما تحدثت عن البيت الذى تعظمه العرب وهو الكعبة .

وقبل أن نتكلم عن الكعبة المشرفة التى تقدست فى الإسلام وجعلها الله بيته الحرام فى مكة المكرمة فإننا نستعرض فيما يلى أسماء البيوت التى عظمها أهل الجاهلية وحاولوا أن يضاهوا بها تلك الكعبة وأن يصرفوا وجود الناس عنها لأسباب قبلية أو سياسية أو دينية .

١ - <u>القليس :</u>

وسميت بالقليس [1] لارتفاع بنيانها وعلوها ، قال ياقوت الحموى الرومى نقلا عن عبد الرحمن بن محمد ومنه القلانس لأنها فى أعلى الرؤوس ، والقيس : كنيسة عظيمة شادها أبرهة بن الصباح قائد جيش الحبشة فى صنعاء لما ملك اليمن ونقشها بالذهب والفضة وألوان الأصباغ وصنوف الجواهر وجعل فيها خشبا له رؤوس كرؤوس الناس ودهنها بأنواع الأصباغ وجعل خارج قبتها برنسا فإذا كان يوم عيدها كشف البرنس عنها فيتلألأ رخامها مع ألوان أصباغها حتى تكاد تخطف الأبصار .

---

[1] القليس ، تصغير قلس وهو الحبل الذى تشد من ليف النخل أو خوصه ومنه القلانس لأنها فى أعلى الرؤوس ، وتقلس الرجل وتقلس إذا لبس القلنسوة ، وقلس طعاما أى أرتفع من معدته إلى فيه .

وقال الحسم شاعر أهل اليمن فى هذه الكنيسة :

من القلس هلال كلما طلعا * كادت له فتن فى الأرض أن تقعا

حلو شمائله لولا غلالته * لمال من شدة التهييف فانقطعا

كأنه بطل يسعى إلى رجل * قد شد أقبيه السدان وادرعا .

ولما انتهى أبرهة من بناء هذه الكنيسة كتب إلى النجاشى .(إنى قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ، ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب) ١

ولقد أراد أبرهة (وكان نصرانيا) من بناء القليس ، أن يتخذ منها كعبة تضاهى الكعبة المشرفة التى فى مكة المكرمة كى يتحول إليها العرب ويجعلوا حجهم إليها من دون بيت الله الحرام ، ولكن الله عز وجل لم يحقق له أمله .

فلقد ذكر المؤرخون أنه لما تحدث العرب بما كتبه أبرهة إلى النجاشى ، غضب رجل من بنى نعيم وخرج حتى أتى القليس وقعد فيها (أى تغوط) ثم لحق بقومه فلما أخبر أبرهة بما أصاب هذه الكنيسة من التلويث المهين ، قال من فعل هذا فقيل له : فعل هذا رجل من أهل البيت الذى تحج إليه العرب بمكة .

لما سمع قولك (أصرف إليها حج العرب) فجاء مغضبا وفعل فيها ما فعل ، وقال إنها ليست أهلا لذلك . فغضب أبرهة وحلف ليسيرن إلى الكعبة المشرفة ويهدمها . وفعلا أمر أبرهة جيشه بالاستعداد للحرب وخرج به ومعه الفيل على مقدمته وفى هذه الواقعة نزلت سورة الفيل فى القرآن الكريم ..

وأشار صاحب الروض الأنف ١ إلى هذه الكنيسة فقال ما خلاصته إنها عرفت بهذا الاسم لارتفاع بنائها بحيث يشرف منها على مدينة عدن .

معجم البلدان ، المجلد (٤) صـ ٣٦٤ .

وكان ابرهة قد استذل أهل اليمن فى بنائها وجشمهم أنواع من السخرة ونقل إليها من قصر بلقيس الأعمدة من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب ، حتى بلغ ما أراده لها من البهجة والرواء ، ونصب فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنبر من العاج والأبنوس فلما تلاشى ملك الحبشة من اليمن اقفر ما حول الكنيسة ولم يعمرها أحد ، وكثرت حولها السباع والحيات ، فكان العرب يتخوفون من القرب منها ، ويزعمون أن من أخذ شيئا من أنقاضها استهوته الجن ، فبقيت كذلك إلى زمن العباس السفاح ، فبعث إليها عامله على اليمن (وهو أبو العباس بن الربيع) فأخذ من أنقاضها الثمينة أشياء كثيرة وباع ما أمكن بيعه من الرخام والخشب المرصع بالذهب ونحو ذلك ، فعفى بعد ذلك رسمها وانقطع خبرها ودرست آثارها ، من الأنصاب التى كانت فيها تمثال من الخشب طوله ستون ذراعا وآخر بجانبه قالوا إن الأول يمثل كعبثا والأخر امرأته [٢] .

٢ – <u>كعبة نجران .</u>

ونجران من مخاليف اليمن من ناحية مكة المكرمة ، وقد أخذت هذه الكعبة اسمها من نجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، لأنه كان أول من عمرها ونزلها . وكان أهل نجران نصارى وفيهم نزلت الآية الكريمة التى تشير إلى ما فعله بهم ذونواس اليهودى الذى أراد حملهم على اعتناق اليهودية وخيرهم بين ذلك أو القتل فاختاروا الأمر الثانى . فحفر ذونواس أخدودا وألقاهم فى أعماقه وجعلهم بين قتيل بالسيف أو قتيل بالنار

---

[١] الروض الأنف للهيلى فى تفسير سيرة ابن هشام صـ ٦٢ : ٦٣ .

[٢] حاشية أحمد زكى باشا فى كتاب الأصنام لابن الكلبى صـ ٤٦ .

وفيما يلى قول الله ﷻ :

" قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السماوات والأرض والله على كل شيء شهيد"

البروج / ٤-٩

وكعبة نجران هذه ، كانت بيعة بناها بنو عبد المدان الديان الحارثى وجعلوها على شكل الكعبة المشرفة التى فى مكة المكرمة وبالغوا فى ضخامتها وجعلوا لها قبة من أدم فى ثلاثمائة جلدة وكانت هذه البيعة على نهر بنجران ، وكان المسيح بن دارس بن عدن بن معقل يستغل من ذلك النهر عشرة آلاف دينار وينفقها كلها على القبة .

ولقد عظم نصارى العرب هذه البيعة وسموها (كعبة نجران) معناها بالكعبة المشرفة التى فى مكة المكرمة ..

ويقول ابن الكلبى فى كتابه الأصنام :(إن كعبة نجران كانت ملجأ للخائف ومقصداً لطلاب الحاجات والراغبين فى الضيافة فإذا جاءها الخائف أمن ، أو طالب حاجة قضيت أو مسترفداً رفد) [1] ولما جاء الإسلام وعمت دعوته سائر القبائل فى الجزيرة العربية حرص النبى ﷺ على أن لا يبقى فى هذه الجزيرة مع الإسلام أى دين آخر ، وقال : الآخرين اليهود والنصارى عن جزيرة العرب حتى لا ادع فيها مسلما .

ولم يستثن النبى ﷺ من هذا التعميم أى قنة أو موضع من هذه البلاد بل أنه قبيل وفاته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى نبه على أصحابه ضرورة إجلاء ما تبقى فى الحجاز من اليهود وما كان فى نجران نفسها من

---

[1] معجم البلدان ، المجلد الخامس / ٢٦٦ وما بعدها .

النصارى فقال :" أخرجوا اليهود من الحجاز وأخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب "[1]

ويظهر أنه بقى بعض النصارى فى نجران بعد وفاة النبى ﷺ مستندين إلى كتاب كتبه لهم وسلمه إلى وفد منهم وفد عليه كان فيه السيد واسمه وهب والعاقب واسمه عبد المسيح والأسقف وهو أبو حارثة فلما ولى أبو بكر رضى الله عنه أنفذ لهم ما كتبه رسول ﷺ فى هذا الكتاب ، فلما ولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنكر مثل هذا الكتاب الذى لم يتأكد وجوده بالفعل وقال كلمته المشهورة (لا يبقى فى جزيرة العرب دينان) وأمر باخراج هؤلاء النصارى من نجران كما فعل بغيرهم من أبناء الملل الأخرى .

ولقد روى ياقوت الرومى عن سالم بن أبى الجعد قال :

جاء أهل نجران إلى على رضى الله عنه فقالوا : شفاعتك بلسانك وكتابتك بيدك أخرجنا عمر من أرضنا ، فردها إلينا منيعه فقال على :(يا ويلكم إن كان عمر رشيد الأمر فلا أغير شيئا صنعه) .

ويقول الأعمش تعليقا على هذه الواقعة : لو كان فى نفسه (أى على رضى الله عنه) عليه شىء لاغتنم هذا !

ولقد أتى الشاعر الأعشى على ذكر نجران وكعبتها فى قصيدة له يخاطب ناقته :

وكعبة نجران حتم عليـ	ك حتى تناخى بأبوابها
تزور يزيدا وعبد المسيح	وقيسا ، هم خيرا ربابها
وشاهدنا الورود والياسـ	ـين والمسمعات بقصابها
ويربطنا دائم معمل	فأى الثلاثة أزرى بها

---

[1] نفس المرجع السابق

٣-كعبة ذي الخلصة .

الخلصة فى اللغة ، نبت طيب الريح ، يتعلق بالشجرة له حب كعنب الثعلب ، جمع خلصة ، خلص بفتح أوله وثانيه ، ويضاف إليه ذو ، وهو بيت أصنام كان لقبائل روس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم بتبالة . وتبالة (أوله مكسور) موضع فى اليمن أوفى تهامة . وقيل إن كعبة ذى الخلصة كانت بيتاً لصنم منصوب بأسفل مكة .

وكان أهل الجاهلية يلبسونه القلائد النفيسة ويعلقون عليه بيض النعام ويذبحون أضحيا تهم وقرابينهم عنده .

وعرفت هذه الكعبة بأسماء عدة منها الكعبة اليمانية . بمقابل البيت الحرام الذى كان يدعى الكعبة الشامية . والذى تولى سدانته من أهل الجاهلية هم : بجيلة وخثعم والحارث بن كعب وجرم وذبيدة والغوث بن مرين أدوينو هلال بن عامر ، قال ياقوت نقلاً عن أبى المنذر : ومن أصنام العرب ، ذو الخلصة .

وهو مروة (صخرة بيضاء منقوش عليها كهيئة التاج) وكانت العرب تعظم هذه الكعبة وتهدى لها الذبائح .

وفى رواية لابن إسحاق نقلها المؤرخ الدكتور جواد على فى كتابه (تاريخ العرب قبل الإسلام) (أن عمر بن لحى . نصب ذا الخلصة بأسفل مكة ، فكانوا يلبسونها القلائد ويهدون إليها الشعير والحنطة ويصبون عليها اللبن ويذبحون لها ويعلقون عليها بيض النفاح)

ويضيف المؤرخ المذكور إلى قوله :(ويظهر من رواية لابن الكلبى أن العرب جميعها كانت تعظم ذا الخلصة) [١]

ولما فتح النبى ﷺ مكة المكرمة وتوافد عليها العرب معلنين إسلامهم قدم عليه جرير بن عبد الله مسلما فقال له النبى ﷺ يا جرير إلا تكفينى

---

[١] تاريخ العرب قبل الإسلام د/ جواد على ج٥ / ١٠٧ .

ذا الخلصة فقال جرير بلى فوجهه إلى هذه الكعبة فلما بلغها نازل سدنتها من بنى قحافة بن عامر بن خثعم وانتصر عليهم وهزمهم وهدم بنيان ذا الخلصة وأضرم فيها النار فاحترقت فقالت امرأة من بنى خثعم :

وبنو أمامة بالولية صرعوا * شملا يعالج كلهم أنبوبا

جاءوا لبيضتهم فلاقوا دونها * أسد ايقب لدى السيوف قبوبا

تسم المذلة بين نسوة خثعم * فتيان أحمى قسمة تشعيبا .

ولكعبة ذى الخلصة مع أمير شعراء الجاهلية قصة جاء فيها أنه لما قتلت بنوا أسد أباه حجرا وخرج يستنجد بمن يعينه على الأخذ بثأره..

مر بتبالة وبهاذ والخلصة ، فاستقسم عنده بقداحة وهى ثلاثة[1] ، الأمر والناهى والمتربص ، فأجالها فخرج الناهى ، ثم أجالها فخرج الناهى به وجه ذا الخلصة وخاطبه قائلاً : (" ... لو قتل أبوك ما نهيتنى ") فقال عند ذلك : (" لو كنت يا ذا الخلصة الموتورا ** مثلى وكان شيخك المقبورا لم تنه عن قتل العداة زورا .

وفى كتب السيرة أن الصنم الذى كان بكعبة ذى الخلصة جعل فى الإسلام عتبة لباب مسجد تبالة ، أما كعبة ذى الخلصة نفسها ، فيقول ابن حبيب انها فى عهده (صارت بيت قصار فيما أخبرت)[2]

٤- (اللات) :

يقول الدكتور جواد على : " واللات صنم من الأصنام المشهورة عند العرب وهو اليلات الإله الرئيسى عند العرب فى ايام المؤرخ هيرودوت

---

[1] الاستقسام هو ما كانت عليه عادة العرب فى جاهليتهم من استشارة الأصنام فيما يفعلون أو يتركون وقد أبطل الإسلام هذه العادة وحرمها على المسلمين .

[2] المحبر ، لأبى جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمى البغدادى ، رواية ابن سعيد الحسن بن الحسين السكرى ، أعنى بتصحيحه الدكتورة / ايزة ليختن شتتر . ص ٣١٥ .

وهو (اللت) فى نصوص الحجر وصلخد ، أى النصوص النبطية التى عثر عليها فى هذه الجهات ويظن أن (اللات) هى الشمس ، بدليل أن الشمس أنثى أى إلهه فى العربية وفى كثير من اللهجات السامية الأخرى وأن اللات أنثى كذلك [1] .

ويقول ابن حبيب : (كان اللات بالطائف لثقيف على صخرة ، وكانوا يسترون ذلك البيت ويضاهون به الكعبة (التى فى مكة المكرمة) وكان له حجبة وكسوة وكانوا يحرمون واديه) .

وكانت سدانة هذا البيت لآل أبى العاص بن أبى يسار بن مالك من ثقيف أو لبنى عتاب ابن مالك ، وكانت قريش وجميع العرب يعظمونه أيضا ويتقربون إليه حتى أن ثقيفا كانوا إذا قدموا من سفر توجهوا إلى بيت اللات أولا للتقرب إليه وشكره على السلامة ثم يذهبون بعد ذلك إلى بيوتهم .

وقد تم هدم هذا البيت فى أيام النبى ﷺ هدمه أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة .

ويقول بن الكلبى فى كتابه (الأصنام) [2]:

" اللات بالطائف ، وهى أحدث من (مناة) وكانت صخرة مربعة وكان يهودى يلت عليها السويق ، وكانت فى موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم (أو آخر القرن الثانى للهجرة) وهى التى ذكرها الله فى القرآن الكريم فقال : " أفرأيتم اللات والعزى" النجم ١٩

وفيه يقول شداد بن عارض الجشمى حين هدمت وحرقت ، ينهر ثقيفا عن العودة إليها والغضب لها ....

---

[1] تاريخ العرب قبل الإسلام ، الفسم الدينى ، ج ٥ ص ٤١

[2] كتاب الأصنام ص ١٦،١٧ .

لا تنصروا اللات إن الله مهلكها

وكيف نصركم من ليس ينتصر

إن التى حرقت بالنار فاشتعلت

ولم تقاتل لدى أحجارها هدر

إن الرسول متى ينزل بساحتكم

يطعن وليس بها من أهلها بشر

وكانت ثقيف تخص اللات بالعبادة بينما كانت قريش تعبد العزى ، وكانوا يسمون بيت اللات (الربة) فقد جاء فى حديث عروة بن مسعود الثقفى لما أسلم وعاد إلى قومه دخل منزله ، فأنكر قومه دخوله قبل أن يأتى إلى (الربة) يعنون بها اللات كما جاء فى حديث وفد ثقيف ، على النبى ﷺ " وكان لهم بيت يسمونه (الربة) يضاهئون به بيت الله ".[1]

وفى تاج العروس : (بيت الربة وهو البيت الذى بنى على اللات) .

ويقول جواد على فى كتابه (تاريخ العرب قبل الإسلام)[2]:

" وأما الصنم (اللات) فإنه من الأصنام القديمة المشهورة عند العرب وهو (أليت) الإله الرئيسى عند العرب فى أيام المؤرخ (هيرودوت) وهو (اللت) فى نصوص الحجر وملحد أى فى النصوص القبطية التى عثر عليها فى هذه الجهات .. وهو (هـ ل ت) فى النصوص الصفوية ، ولعله (هلات) أى على نحو ما ينطق بالكلمة فى لهجة القرآن الكريم والهاء فى الكلمة أداة تعريف فى اللهجة الصفوية فيكون المراد (اللات) ويظن أن (اللات) هى الشمس بدليل أن الشمس أنثى ، أى إلهة فى العربية وفى كثير من اللهجات السامية الأخرى ، وأن (اللات) أنثى كذلك .

---

[1] كتاب الأصنام لابن الكلبى صـ١٠٩ .

[2] ج ٥ صـ٩١ وما بعدها .

وجاء فى الروض الأنف للسهيلى [1] .

اللات وسبب عبادته : وكان عمرو بن لحى حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة ، قد جعلته العرب ربا لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة لأنه كان يطعم الناس ويكسوهم فى الموسم ، فربما يخرج فى الموسم عشرة آلاف بدنة وكساء عشرة آلاف حلة ، حتى ليقال : " إنه اللات الذى يلت السويق [2] للحجيج على صخرة معروفة تسمى (صخرة اللات) ويقال إن الذى يلت كان من ثقيف فلما مات قال لهم عمرو أنه لم يمت ولكن دخل فى الصخرة ثم أمرهم بعبادتها ، وأن يبنوا عليها بيتا يسمى (اللات) ويقال : " دام أمره وأمر ولده على هذا بمكة ثلاثمائة سنة فلما هلك سميت تلك الصخرة (اللات) مخففة التاء واتخذ صنما يُعبد ، وقد ذكر ابن اسحق أنه أول من أدخل الأصنام الحرم وحمل الناس على عبادتها .

وذكر أبو الوليد الأزرقى فى أخبار مكة أن عمرو ابن لحى فقأ أعين عشرين بعيرا وكانوا يفقئون عين الفحل إذا بلغت الإبل ألفا فإذا بلغت ألفين فقئوا العين الأخرى .

٥- <u>ذو الكعبات :</u>

وهو من البيوت المعظمة عند عرب الجاهلية وكان لربيعة ، وموقعه فى القسم الشمالى الشرقى من جزيرة العرب عند نهر يقال له (سنداد) وإليه كانت العرب تحج .

---

[1] ج ١ ، صـ ١٠٢ .

[2] صفة يصنع من الحنطة والشعير المدقوق .

وقد دعى هذا البيت (ذو الشرفات) ويروى المؤرخون ان الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز مر بقصر لآل جفنة ، فتمثل مولاد مزاحم بقصيدة الأسود النهشلى التى يقول فيها[1] :

ماذا أدخل بعد آل محرق

تركوا منازلهم وبعد إياد

أهل الخورنق والسدير وبارق

والقصر ذى الشرفات فى سنداد

فقال له عمر : " ألا قرأت :

كم تركوا من جنات وعُيون وزُروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين " الدخان / ٢٥ ، ٢٨

وفى كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمذانى :

أو كانوا - أى العرب - يجدون بيتا سمى (ذا الكعبات) وفيه يقول المتلمس الشاعر :

ألك السدير وبارق

ومبايض ولك الخورنق

والقصر من سنداد

ذو الكعبات والنخل المبنق

وفيه كذلك يقول الأسود بن يعفر فى بعض الروايات :

أهل الخورنق والسدير وبارق

والبيت ذى الكعبات من سنداد

---

[1] فى طريق الميثولوجيا عند العرب / محمود سليم الحوت ، جـ ١ صـ ١٣٧ .

٦- **بيت غمدان :**

وإلى جانب (الكعبات) التى ذكرناها ، فإنه كان للعرب فى جاهليتهم بانيـ ٠ بيت يعظمونه ويؤدون فيه مناسكهم الدينية الوثنية ، وهو (بيت غمدان) وهو الذى شاده فى صنعاء أحد ملوك اليمن ويدعى (ليشرح بن يحصب) وجعله على اسم الزهرة (الكوكب) الذى اشتهر كذلك باسم

(عشتروت) فقد نقل ياقوت الحموى الرومى البغدادى عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى أن ليشرح هذا أراد اتخاذ قصر له بين صنعاء وطيوة فأحضر البنائين والمقدرين لذلك ، فمدوا الخيط ليقدروه فانقضت على الخيط حدأة ، فذهبت به فاتبعوه حتى ألقت به فى موقع غمدان ، فقال ليشرح : " ابنوا القصر فى هذا المكان " فبنى على أربعة أوجه (وجه أبيض* ووجه أحمر* ووجه أصفر* ووجه أخضر) وبنى فى داخله قصر على سبعة سقوف بين كل سقفين منها أربعون ذراعا وكان ظله إذا طلعت الشمس يُرى على (عتيان) وبينهما ثلاثة أميال وجعل أعلاه مجلسا بتاه بالرخام الملون ، وجعل سقفه رخامة واحدة ووضع على كل ركن من أركانه تمثال أسد من نحاس كأعظم ما يكون من الأسد ، فكانت الريح إذا هبت على ناحية تمثال من تلك التماثيل دخلت من دبره وخرجت من فيه ، فيسمع له زئير كزئير السباع .

وكان يأمر بالمصابيح فتضاء فى ذلك البيت فكان سائر القصر يلمع من ظاهره كما يلمع البرق ، فإذا أشرف عليه الإنسان من بعض الطرق ظنه برقاً أو مطر ولا يعلم أن ذلك من ضوء المصابيح .

قال ياقوت :

وغمدان الذى حدثت عنه

بناه مشيداً فى رأس نيق

يمر مـرة وأعـلاه رخـام

سـخام لا يعيـب بالشـقوق

مصـابيح السليط يلحـن فيـه

إذا يمسـى لتومـا فـى الـبروق

فأصبح بعـد جدتـه رمـادا

وغـير حسـنه لـهب الحريـق

وهـذا البيت الـذى كـان أول معبـد بنـى فـى جنـوب الجزيـرة العربيـة بقـى قائمـا إلـى مـا بعد ظـهور الدعـوة الإسلامية ، ولمـا ولـى عثمـان بـن عفـان ﷺ الخلافـة أمـر بهدمـه ، فقيـل إن كـهان اليمـن يزعمـون أن الـذى يهدمـه يقتـل ، فـأمر بإعـادة بنائـه فقيـل لـه ، لـو أنفقت عليـه خـراج الأرض مـا أعدتـه كمـا كـان فتركـه خرابـا ، ويقـول يـاقوت أنـه وجـد علـى خشـبة فـى هـذا البيـت وعليـها كتابـة مـن الرصـاص المصبـوب: " أسـلم غمـدان ، هـادمك مقتـول) ومـن عجـب المصادفـة أن هـذا الخليفـة لقـى حتفـه قتـلا علـى مـا هـو معـروف فـى التـاريخ . (وهـو قولـه مـردود علـى مـن قالـه فعثمـان لايؤمـن بالكهانـه)

تقـول : " وفـى صنعـاء اليـوم قصـر معـروف بـهذا الاسـم قـد اتخـذت منـه الحكومـة اليمنيـة فـى المـدة الأخـيرة مسـتودعا للأسـلحة والذخـائر الحربيـة ، ويقـال بـأن هـذا القصـر الحـالى قديـم العـهد ولكنـه لا يرقـى فـى بنائـه إلـى العصـر الجـاهلى بـل هـو مـن الأبنيـة التـى شـيدت فـى العـهد العثمـانى وليـس بيـن العصريـن القديـم والحديـث أيـه صلـة تاريخيـة ، وإن كانـا يحمـلان اسـما واحـدا .

هـذا وإن المسـعودى عـد (بيـت غمـدان أحـد المعـابد السـبعة التـى تعتـبر أقدم مـا عـرف البشـر مـن البيـوت المعظمـة فـى التـاريخ) .

٧- **بيت رئام:**

قال ابن الكلبى [١] : " وكان لحمير بيت بصنعاء يقال له رئام يعظمونه ويتقربون عنده بالذبائح وكانوا فيما يذكرون يكلمون منه . فلما انصرف تبع من مسيره الذى سار فيه إلى العراق قدم معه الحبران اللذان صحباه من المدينة ، فأمراه بهدم رئام قال: " شأتكما فهدماه وتهود تبع وأهل اليمن فمن ثم لم أسمع بذكر رئام ولا (نسر) فى شئ من الأشعار والأسماء ، قال هشام أبو المنذر : " ولم أسمع فى رئام وحده شعرا وقد سمعت فى البقية ..) .

وقال السهيلى فى الروض : " وذكر البيت الذى كان لهم يقال له (رئام) وهو مقال من رئمت الأنثى ولدها ترأمه رئما ورئاما إذا عطفت عليه ورحمته .

فاشتقوا لهذا البيت اسما لموضع الرحمة التى كانوا يلتمسون فى عبادته والله أعلم [٢] .

وذكر ابن هشام فى هدم البيت المسمى رئام : قال ابن اسحق : " وكان رئام بيتا لهم يعظمونه وينحرون عنده ويكلمون منه إذ كانوا على شركهم ، فقال الحبران لتبع : " إنما هو شيطان يفتنهم بذلك فخل بيننا وبينه .

قال : " فشأتكما به فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن كلبا أسود فذبحاه ثم هدما ذلك البيت فبقاياه اليوم - كما ذكر لى - بها آثار الدماء التى كانت تراق عليه [٣] .

---

[١] معجم البلدان : ياقوت الرومى الحموى ، مجلد ٤ صـ ٤٦٣ .

[٢] الروض الأنف للسهيلى ج ١ صـ ٤٢ .

[٣] نفس المرجع السابق .

٨ — ذو الشرى :

ذكره ياقوت الحموى فى معجم البلدان فقال [١] :

" ذو الشرى صنم كان لدوس ، كانوا قد حموا له حمى "

وقال أيضا : " الشرى جبل بنجد فى ديار طئ وجبل بتهامة موصوف بكثرة السباع .. وموضع عند مكة .. وفى مكان آخر قال ياقوت : (الشرى ما كان حول الحرم ، وهى الشراء الحرم) على أن المصادر اللاتينية قالت إن ذا الشرى كعبة كانت فى مدينة سلع بالبتراء ، وأن هذه الكعبة كانت بيتا على اسم (الشمس) وأن كلمة (ذى الشرى) هو الاسم الآخر للشمس ، ومعناه (الإله المنير) ، ولقد كان هذا الإله الأسطورى قائما على قاعدة مكسوة بالذهب فى بيت خاص به وهذا البيت كان أيضا قائما على صخرة مرتفعة [٢] وهو موشى بالذهب وبداخله صور تمثل تقديم القرابين إليه وكان الأقباط وسائر الناس يحجون إليه من مواطن بعيدة تقربا للصنم الذى بداخله [٣] .

ويرى بعض الكتاب من اللاتين واليونان أن (ذا الشرى) هو نفس الإله الأسطورى القربى باخوس ديونيسيوس وكان أهل الجاهلية يطلقون عليه اسم رب البيت .

وذكره ابن الكلبى فى جملة الأصنام التى عبدها العرب وأنه كان خاصا ببنى الحارث بن الشكر بن مبشر (هناك من يقول بأنه كان يوجد بداخل هذا البيت حجر أسود غير مصقول ارتفاعه ٤ أقدام وعرضه قدمان وكان الناس يقصدونه من أماكن قصية للاحتفال به فى اليوم ٢٥ من شهر كانون الثانى كل عام مرة على أن العالم الأثرى أحمد كمال باشا نشر فى

---

[١] معجم البلدان ، المجلد ٤ ، صـ ٢١٠ .

[٢] كتاب الأصنام : تحقيق / أحمد زكى باشا ، صـ ١١ .

[٣] معجم البلدان ، م ج ٣ صـ ٣٣٠ .

مجلة المقتطف المصرية جـ ٢٣ صـ ٥٠٥ أن الخورنق (ذى الشرى) كأنها من حرتش أى حوريس الأحمر وهو اسم المريخ بالمصرية القديمة

٩- الخورنق :

قال السهيلى : " الخورنق مصر بناه النعمان الأكبر لسابور ليكون ولده فيه عنده وبناه رجل يقال له (سنيمار) فى عشرين سنة ولم ير بناء أعجب منه ، فخشى النعمان أن يبنى لغيره مثله فأفقاد من أعلاه فقتله ففى ذلك يقول الشاعر

جزانى جزاه الله شر جزائه ** جزاء سنمار وما كان ذا ذنب

سوى رضفة البنيان عشرين حجة ** يد عليه بالقرامد والسكب

فلما انتهى البنيان يوم تمامة** وأض كمثل الطود والياذ فى الضعب رمى بسنيمار

على حتف رأسه ** وذلك لعمرُ الله من أقبح الخطب .

قال السهيلى : " انشده الجاحظ فى كتاب الحيوان والسمار من أسماء القمر والمقصود أن هذه البيوت كلها هُدمت لما جاء الإسلام جهز رسول الله ﷺ إلى كل بيت من هذه سرايا تخربه وإلى تلك الأصنام من كسرها حتى لم يبق للكعبة ما يضاهيها وعُبد الله وحده لا شريك له [1] .

١١ – وضاء :

ويكتب أيضا (رضاء) وذكره ابن الكلبى فى كتابه الأصنام وقال إنه كان بيتا لربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، وقد هدمه المستوغر فى الإسلام وقال بعد أن هدمه شعراً جاء فيه [2] :

---

[1] البداية والنهاية : لابن كثير م ٢ صـ ١٩٦ – ١٩٧ .

[2] كتاب الأصنام : صـ ٣٠ والمستوغر هو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم وإنما سمى المستوغر لأنه قال : يش الماء فى الربلات فيها [3] منيئ الرصف فى اللبن الوغير .

ولقد شددت على رضاء شدة

فتركتها تلا تنازع أسحما [1]

ودعوت عبد الله في مكرورها

ولمثل عبد الله يقش المحرما

ويقول جواد على إن (رضى) من الأصنام التى عبدها قوم ثمود وأن عبادته كانت منتشرة بين العرب الشماليين [2] .

وفى رأى بعض المستشرقين أن هذا الصنم كان بمنزلة (عشتر) عند الجنوبيين ، ويظن بعضهم أن (أرضو) أو (أرصو) الذى قال عنه هيرودوت المؤرخ بأنه أحد آلهة العرب الكبرى يظن أنه هو نفس (رضاء) الذى أشار إليه الأخباريون [3] .

١٢ – يعبر :

يستفاد من كلام صاحب معجم (تاج العروس) [4] أن (يعبر) كان بيتا تعبده قبيلة غطفان ، وسبب بنائه أن رجلاً من هذه القبيلة اسمه ظالم بن أسعد ، لما رأى القرشيين يطوفون بالكعبة المشرفة ويسعون بين الصخرتين (الصفا والمروة) أراد أن يجعل لقومه بيتا يطوفون به دون البيت الذى فى مكة المكرمة .

---

[1] الأسحم : صفة السواد .

[2] مراجع (تاريخ العرب قبل الإسلام) لجواد على أ ١٥٠ – ١٥٦ ، ويقول العالم الأثرى المصرى المرحوم أحمد فخرى (رضا) وهو بيت صنم اربعة ، ومصريته (رتاو) أو (ربح ماى) مؤنث (رع) روحة (مبنو) راجع مجلة الـ — لعبى اسكندر المطوق ج ١٠ مجلد ٤ / ٤٩٥ .

[3] كتاب الأصنام : التكملة التى جمعها محقق هذا الكتاب أحمد زكى باشا

[4] يقول جواد على فى كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٥ صـ ٩٨ .

فأخذ قياسات البيت الحرام طولا وعرضا ، واقتطع من الصفا والمروة حجراً من هذه وأخر من تلك ولما عاد إلى قومه بنى لهم على قدر البيت الحرام بيتاً آخر ووضع فيه الحجرين وقال لهم :

" هذا الصفا والمروة ، وطلب إليهم أن يقصروا حجهم على البيت الذى بناه لهم ، إلا أن ذلك لم يعجب بعض الناس الذين كانوا يرون ضرورة الحفاظ على حرمة البيت الحرام الذى فى مكة المكرمة فانبرى واحد منهم يقال له (زهير بن جناب الكلبى) وأقسم أنه لا يكون ذلك ولنا حى ، ولا أخلى غطفان تتخذه (حرما) أبداً ، وأغار زهير على ظالم المذكور فقتله وهدم البيت الذى بناه [1] .

١٣ - الربة :

فى تاج العروس وفى النهاية لابن الأثير : (الربة ، كعبة كانت بنجران لمذحج وبنى الحارث بن كعب) .

---

[1] يقول حواد على فى كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٥ صـ ٩٨ :

والحرم الذى نحن بصدده (أى بس) ض ابن الكلبى أو رواة كتاب (الأصنام) أنه بيت ولدلت قال أو قالوا: تبى عليه (بسا) وهو قول غريب فيس إنما هو ماء لغطفان عند ثنية الحرم وقد ورد (بس) بصيغة (لبس) فى موضع من كتاب (الأغانى) : ١٢ / ١٢١ (أحمار الخضير من حمناه وسبه) وهو خطأ قد يكون من الناسخ . أ هـ .

الفصل الخامس
كعبات أخرى كانت العرب تحج إليها وتعظمها

وفى الجزيرة العربية كثير مما ذكرنا من الكعبات فلقد كان من عادة أهل الجاهلية أن يجعلوا لكل صنم من أصنامهم بيتا خاصا به ويعاملونه معاملتهم للكعبة المكية فيقدمون عنده الأضاحى والقرابين وينفحونه بالهدايا من غالى المتاع والكسى والسلاح ويخصصون له من يتولى فيه الحجابة والسدانة ويأتونه إما قصدا أو عرضا فى أثناء أسفارهم وتنقلاتهم وكانوا يفرجون على بيوت هذه الأصنام للإقامة فى جوارها أياما قد تطول وقد تقصر تبعا لطقوسهم الوثنية فيرتاحون عندها ويستسقون وكثيرا ما كانوا يختارون أن يجعلوا هذه (الكعبات) عند عيون المياه أو الغدران أو فى الواحات وشعب الجبال والوديان

ويقول الدكتور جواد على : (والحج إلى مكة وإلى البيوت المقدسة الأخرى مثل بيت اللات فى الطائف وبيت العُزى على مقربة من عرفات وبيت مناة وبيت ذى الخلصة وبيت نجران وبقية البيوت الجاهلية المنظمة إنما هى أعياد يجتمع الناس فيها بأبهى ما عندهم من حلل ، وأجمل ما يملكون من ملابس للاحتفال معا بتلك الأيام وهم يدخلون السرور على أنفسهم وعلى إلهتهم بحسب اعتقادهم وتقدير هذه الاحتفالات بذبح الحيوانات كل يذبح على قدر طاقته ومكانته فيأكل منها فى ذلك اليوم من لم يتمكن من الحصول على اللحم فى أثناء السنة لفقره فهى أيام يجد فيها الفقراء لذة ومتعة وعبادة .

وفى كتب الأخبار ومدونات الأشعار أكثر من إشارة إلى أن القبائل العربية فى جاهليتها كانت تطوف فى أعيادها حول كعبات أصنامها

وتهدى إليها ثم تنحر عندها بعد إكمال طوافها دلالة على إكمال شعائر الحج إلى هذه المواضع المعظمة [1]

وإذا نحن راجعنا ما كتبه المؤرخون عن أصنام العرب وبيوتهم المعظمة فى الجاهلية نجد هؤلاء المؤرخين يشيرون إلى أن الجاهليين كان لهم بيوت يعظمونها ويقدسونها غير البيت الحرام الذى فى مكة المكرمة مثل بيت ذى الشرى الذى كان للنبط فى البتراء . وإلى مثل هذا ذهب المستشرق الألمانى ولهوزن وجماعة من أمثاله الذين قالوا بتعدد بيوت الأرباب التى كان العرب يحجون إليها فى شهر ذى الحجة . وإلى عدد حصر الحج فى الجاهلية بموقع واحد دون سواه . وغير بيت ذى الشرى ذكر المؤرخون فى جملة بيوت العرب المعظمة (بيت رضى) ويكتب رضاء ، وقد ورد اسم هذا البيت فى كتابات الصفويين باسم (رضو) [2]

وذكر ابن الكلبى فى كتابه (الأصنام) أن البيت رضى كان لربيعة بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة وقد هدمه المستوعز فى الإسلام وقال :

ولقد شددت على رضاء شدة

فتركتها بلا تنازع أسمحا

ودعوت عبد الله فى مكرورها

ولمثل عبد الله يغشى المحرما

وذكر ابن حبيب أنه كان بالطائف ، بيت اللات ، وهو على صخرة لثقيف وكانوا يسترون ذلك البيت ويضاهون به الكعبة ، وكان له حجبة وكسوة وكانوا يحرمون واديه فبعث رسول الله ﷺ أبا شعبان بن حرب والمغيرة بن شعبة فهدماه ، وكان سدنته آل ابن العاصى من بنى يسار بن

---

[1] تاريخ العرب قبل الإسلام ج د / ١٠٥ .

[2] تاريخ العرب قبل الإسلام ج د صـ ١٠٥ .

مالك من ثقيف وكان (بيت شمس) لبني تميم . وكانت تعبده بنو إدكلها ضبة وتميم وعدى وعكل وثور وكان سدنتة من بني أوس بن مخاش بن معاوية بن شريف بن جردة بن أسيد بن عمرو بن تميم ، فكسره هند بن أبي هالة وصفوان بن أسيد بن الحلاحل بن أوس بن مخاش [1]

كما ذكر محمود سليم الحوت في كتابه (في طريق الميثولوجيا عند العرب) أن هناك بيوتا معظمة كثيرة في أماكن شتى من بلاد العرب ذلك

(الفلس) لقبائل طيء عند جبلي أجاد سلمى و(السعيدة) وكان هذا أيضا بيتا تحج إليه العرب وسدنته بنو عجلان ، وقيل أن قبائل الأزد كانت تعبده .[2]

وقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية باب جهل العرب :

وحدثنا أبو النعمان أبو عوانه عن أبي بشر عن سعيد بن جبيرعن ابن عباس قال : إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام :" قَدْ خسر الذين قتلوا أولادهُمْ سفهًا بغير علم وحرّموا ما رزقهُمُ اللّهُ افتراءً علَى اللّه قدْ ضلّوا وما كانوا مُهتدين " الانعام / ١٤٠

وقد ذكرنا تفسير هذه الآية وما كانوا ابتدعوه من الشرائع الباطلة الفاسدة التي ظنها كبيرهم عمرو بن لحي - قبحه الله - مصلحة ورحمة بالدواب والبهائم وهو كاذب مفتر في ذلك ومع هذا الجهل والضلال اتبعه هؤلاء الجهلة الضغام فيه بل قد تابعوه فيما هو أظم من ذلك وأعظم بكثير وهو عبادة الأوثان مع الله ﷻ وبدلوا ما كان الله بعث به إبراهيم خليله من الدين القويم والصراط المستقيم من توحيد عبادة الله وحده لا شريك له وتحريم الشرك . وغيروا شعائر الحج ومعلم الدين بغير علم ولا برهان ولا دليل صحيح ولا ضعيف ..

---

[1] انظر ص ٣١٥ وما بعدها

[2] الكتاب المذكور ص ١٣٧ ، ١٣٨

قال ابن اسحق وغيره : " ثم صارت هذه الأصنام في العرب بعد تبديلهم وابن إسماعيل فكان ود لبني كلب بن مرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وكان منسوبا بدومه الجندل " .

وكان سواع : لبني هزيل بن إلياس بن مدركة بن مضر وكان منصوبا بجرش وكاب يعوق : منصوبا بأرقى همدان من اليمن لبني خيوان بطن من همدان وكان نسر : منصوبا بأرض حمير لقبيلة يقال لهم (ذو الكلاع) .

قال ابن اسحق : " وكان لخولان بأرضهم صنم يقال له (عم أنس) يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله فيما يزعمون فما دخل في حق عم أنس من حق الله الذى قسموه له وتركوه له وما دخل في حق الله من حق عم أنس رده عليه وفيهم أنزل الله :

" وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا " الأنعام / ١٣٦

وكان لبني ملكان بن كنانة بن خزيمة بن مدركة صنم يقال : سعد صخرة بفلاة من أرضهم طويلة فأقبل رجل منهم بابل له مؤبلة ليقفها عليه التماس بركته فيما يزعم ، فلما رأته الإبل وكانت مرعية لا تركب وكان الصنم يهراق عليه الدماء نفرت منه فذهلت في كل وجه وغضب ربها وأخذ حجراً فرماه به ثم قال : " لا بارك الله فيك نفرت على إبلي ، ثم خرج في طلبها فلما اجتمعت له قال :

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا * فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد إلا صخرة بتنوفة * من الأرض لا يعدو لفى ولا رشد

قال ابن اسحق : وكان في دوس صنم لعمرو بن حمة الروسي .

قال : وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر في جوف الكعبة يقال له (هبل) وقد تقدم فيما ذكره ابن هشام أنه أول صنم نصبه عمرو بن لحى لقبه الله .

قال ابن اسحق : " واتخذوا إسافا ونائلة على موضع زمزم ينحرون عندهما ثم ذكر أنهما كانا رجلا وامرأة فوقع عليها في الكعبة فمسخهما الله حجرين .

ثم قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن الحمد بن عمرو بن حزم عن عمرة أنها قالت : " سمعت عائشة تقول : " ما زلنا نسمع أن إسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم أحدثا في الكعبة فمسخهما الله ﷻ حجرين والله أعلم .

وقد ذكر الواقدي : " أن رسول الله ﷺ لما أمر بكسر نائلة يوم الفتح خرجت منها سوداء شمطاء تخمش وجهها وتدعو بالويل والثبور " .

وقد ذكر السهيلي : " أن أجا وسلمى وهما جبلان بأرض الحجاز ، إنما سميا باسم رجل اسمه أجا بن عبد الحي فجر بسلمى بنت حام فصلبا في هذين الجبلين فعرفا بهما .

قال : " وكان بين أجا وسلمى صنم لطي يقال له (فلس) .

قال ابن اسحق : " واتخذ أصل كل دار في دراهم صنما يعبدونه فإذا أراد الرجل منهم سفرا تمسح به حين يركب فكان ذلك آخر ما يفعل حين يتوجه إلى سفره ، وإذا قدم من سفره تمسح به فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله .

قال : " فلما بعث الله محمداﷺ بالتوحيد قالت قريش : " اجعل الآلهة إلها واحدا إنّ هذا لشيءٌ عُجابٌ " ص / ٥

قال ابن اسحق : " وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب ، وتهدى لها كما تهدى للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها وهي مع ذلك تعرف فضل الكعبة عليها لأنها بناء إبراهيم الخليل عليه السلام ومسجده .

وكانت لقريش وبني كنانة القرى بنخلة وكانت سدنتها وحجابها بني شديان من سليم حلفاء بني هاشم وقد خربها خالد بن الوليد زمن الفتح .

قال : " وكانت اللات كثقيف بالطائف وكانت سدنتها وحجابها بني معتب من ثقيف وخربها أبو سفيان والمغيرة بن شعبة بعد مجيء أهل الطائف .

قال : " وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل المدينة على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد وقد خربها أبو سفيان أيضا ... وقيل علي بن أبي طالب قال : " وكان ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة .

وكان يقال له : " الكعبة اليمانية ، والبيت مكة : الكعبة الشامية وقد خربه جرير بن عبد الله البجلي ...

الفصل السادس

أسماء الكعبة

وللكعبة المشرفة أسماء عديدة وردت فى القرآن الكريم وتعدد الأسماء دليل على عظم المسمى . ومنها " الكعبة البيت العتيق - والبيت الحرام - والبيت المعمور - بكة - حرما أمنا - البيت المحرم ..

الكعبة :

ومن أسماءها المشهورة بها الكعبة :

قال تعالى :" جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس" سـ ٥/ ٩٧

سبب تسميتها بالكعبة :

سميت الكعبة لأنها مكعبة على خلق الكعب ، وقيل التكعب : التربيع وكل بناء مربع كعبة .

وقيل : سميت لارتفاع بنائها ، وكل بناء مرتفع فهو كعبة ، ومنه كعب ثدى الجارية إذا علا فى صدرها وارتفع " [1]

وقال القرطبى :

سميت الكعبة كعبة لأنها مربعة وأكثر بيوت العرب مدورة وقيل : إنما سميت كعبة لنتوئها وبروزها ، فكل ناتئ بارز كعب مستديراً كان أو غير مستدير . ومنه كعب القدم وكعوب القناة وكعب ثدى المرأة إذا ظهر فى صدرها [2] .

---

[1] مجلة الأزهر السنة (٦٩) جـ ١ / ٤٠ .

[2] الجامع لأحكام القرآن جـ ٦ / ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

- **البيت :**

وسميت بالبيت . قال تعالى :" وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا" البقرة/ ١٢٥

وقال تعالى :" ولله على الناس حجُّ البيتِ من استطاع إليه سبيلا" آل عمران/ ٩٧

قال القرطبي : البيت يعني الكعبة .

والبيت سمي بذلك لأنها ذات سقف وجدار ، وهي حقيقة البنية وإن لم يكن لها ساكن .

- **البيت الحرام :**

وسميت بالبيت الحرام أيضا .

قال تعالى :" ولا آمّين البيْتَ الحرام " المائدة/ ٢ وسميت حرما في قوله تعالى " جَعلَ اللهُ الكعْبةَ البيْت الحَرامَ" المائدة/ ٩٧

وقال القرطبي : وسماه الله ﷻ حراما بتحريمه إياه .

- **البيت العتيق :**

وسميت الكعبة بالبيت العتيق لقوله تعالى :" وليطوّفوا بالبيْت العتيق" الحج/ ٢٩

وسميت بالعتيق : أي القديم .

وقيل عتيقا لأن الله أعتقه من أن يتسلط عليه جبار بالهوان إلى انقضاء الزمان . وعن عبد الله بن الزبير قال : قال رسول الله ﷺ

" إنما سمي البيت العتيق لأنه لم يظهر عليه جبار " [1]

وقالت طائفة : سمي عتيقا لأنه لم يملك موضعه قط .

وقالت فرقة : سمي عتيقا لأن الله عز وجل يعتق فيه رقاب المذنبين من العذاب

وقيل : سُمي عتيقا لأنه أعتق من غرق الطوفان .

---

[1] رواه الترمذي : وقال : حديث حسن صحيح .

قال مجاهد : خلق الله البيت قبل الأرض بألفى عام ، وسمى عتيقا لهذا ، والله أعلم .

۞ بكة :

وقد سميت بكة لقوله تعالى إنّ أوّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا" آل عمران / ٩٦

روى عن زيد بن أسلم " أن بكة الكعبة والمسجد ، ومكة ذو طوى وهو بطن الوادى . [1]

۞ حرماً آمناً :

وسميت حرما آمنا كما فى قوله تعالى :" أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا" القصص / ٥٧

وقال تعالى :" وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا" البقرة / ١٢٥

وقال تعالى :" وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا " آل عمران / ٩٧

كأنه قال : آمنوا من دخل البيت وقال : وآمنا " تأكيد للأمر باستقبال الكعبة " [2]

۞ البيت المعمور :

وسميت بالبيت المعمور : قال تعالى " وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ " الطور / ١-٤ ذكر الشوكانى قائلاً :" والبيت والمعمور فى السماء السابعة وقيل فى سماء الدنيا وقيل هو الكعبة . فعلى القولين الأولين يكون وصفه بالعمارة باعتبار من يدخل إليه من الملائكة ويعبد الله فيه . وعلى القول الثالث يكون وصفه بالعمارة حقيقة أو مجازا

---

[1] ياقوت معجم البلدان ٥/ ١٨٢ .

[2] الجامع لأحكام القرآن القرطبى ج٢ / ١١١ .

باعتبار كثرة من يتعبد فيه من بنى آدم "[1] . ويقول الحسن : البيت المعمور هم الكعبة ، البيت الحرام الذى هو معمور من الناس يعمره الله كل سنة بستمائة ألف فإن عجز الناس عن ذلك أتمه الله بالملائكة وهو أول بيت وضعه الله لعبادة فى الأرض .. [2]

---

[1] فتح القدير للشوكانى ح٥ / ٩ .

[2] الجامع لأحكام القرآن ح ١٧ / ٦٠ .

الفصل السابع

البيت المعمور والكعبة

قال تعالى :" والبيت المعمور " الطور / ٤

ذكرنا فى أسماء الكعبة أقوالاً للشوكانى وغيره أن البيت المعمور - الكعبة - وقد وردت أقوال كثيرة تقول أنه فى السماء حيال الكعبة :

وقبل أن نذكر هذه الأقوال ، تقول بأن الكعبة قد سميت على البيت المعمور لأنها حيال الكعبة فى السماء .. وهذا أقرب لتوضيح المضى .. والله أعلم .

أما الأقوال التى توضح أن البيت المعمور فى السماء فهى كثيرة نذكر منها قول على وابن عباس وغيرهما : هو بيت فى السماء حيال الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم يخرجون منه فلا يعودون إليه .

قال على رضى الله عنه : هو بيت فى السماء السادسة . وقيل فى السماء الرابعة . وروى عن أنس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :" أوتى بى إلى السماء الرابعة فرفع لنا البيت المعمور فإذا هو حيال الكعبة لو خر ، خر عليها يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه " [1]

وحكى القشيرى عن ابن عباس أنه فى السماء الدنيا .

وقال أبو بكر الأنبارى : سأل ابن الكواء عليا رضى الله عنه قال : فما البيت المعمور قال : بيت فوق سبع سموات تحت العرش يقال له الضراح وكذا فى الصحاح ، والضراح بالضم بيت فى السماء وهو " البيت المعمور "

---

[1] ذكره الماوردى

وفى حديث الإسراء :" ثم رفع إلىّ البيت المعمور فقلت يا جبريل ما هذا قال هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه آخر ما عليهم " [1]

وفى حديث ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : أتيت بالبراق " الحديث .. وفيه ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من هذا !؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ، قال محمد ﷺ قيل : وقد بعث إليه : قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه "

وعن ابن عباس أيضا قال " لله فى السماوات والأرض خمسة عشر بيتا سبعة فى السماوات وسبعة فى الأرض والكعبة ، وكلها مقابلة للكعبة .

وقال الربيع بن أنس : إن البيت المعمور كان فى الأرض موضع الكعبة فى زمان آدم عليه السلام أمرهم أن يحجوا فأبوا عليه فلما طغى الماء رفع فجعل بحزانه فى السماء الدنيا فيعمره كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يرجعون إليه حتى ينفخ فى الصور.. " [2]

---

[1] رواه مسلم .

[2] الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٧ /٥٩ ــ ٦١ ، وتفسير ابن كثير ج٥ / ٢٤٠ .

الفصل الثامن

فضائل الكعبة

تكلمنا من قبل عن فضائل مكة المكرمة ووجدنا أن الله ﷻ فضلها على سائر البلاد ـ كذلك فضل ما فيها من شعائر ومقدسات ، حيث تميزت الكعبة المشرفة بخصائص كثيرة وفضائل عظيمة من أهمها أنها :

☜ **أشرف بقعة على وجه الأرض :**

فليس على الأرض بناء أشرف من الكعبة المشرفة وذلك لطهارتها وقداستها ومنزلتها عند الله ﷻ ، فلما عاد رسول الله ﷺ إلى مكة استقبل بالكعبة وقال :

" إنك لخير أرض الله ﷻ وأحب بلاد الله تعالى إلى الله ولولا أني أخرجت منك لما خرجت " [1] .

وكيف لا والنظر إلى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كما سنذكر

☜ **طواف الطيور بها :**

ومن فضائلها أن الطيور الموجودة بالحرم تطوف بالبيت كما يتطوف الناس وأنها لا تمر من فوق الكعبة ولا تبول بها .

☜ **عدم الاعتداء عليها :**

ومن فضائل الكعبة أنه لم يسبق أن هدمها جبار كما هدم بختنصر بيت المقدس من قبل وكل من حاول الاعتداء عليها أذله الله .

☜ **عدم الأذى حولها :**

فالوحوش لا تؤذى أحد حولها ولا تؤذى بعضها البعض ولا تصاد فريستها فى الحرم .

---

[1] أخرجه الترمذى وصححه النسائى فى الكبرى وابن ماجة وابن حبان .

☜ رفع قواعدها إبراهيم وإسماعيل :

وذلك شرف عظيم أن يرفع قواعد الكعبة أبو الأنبياء وولده إسماعيل قال تعالى :

" وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ " البقرة/ ١٢٧

☜ هبط من الجنة .. ورُفع زمن الطوفان :

ومن فضائل هذا البيت أنه هبط من الجنة مع آدم .. ورفع إلى السماء في زمن طوفان نوح عليه السلام ..

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : " لما أهبط الله آدم عليه السلام من الجنة قال : " إني مهبط معك بيتا أو منزلاً يُطاف حوله كما يُطاف حول عرشي ، ويُصلى عنده كما يُصلى عند عرشي " ، فلما كان زمن الطوفان رفع وكان الأنبياء يحجونه ، ولا يعلمون مكانه فبوأه لإبراهيم عليه السلام فبناه من خمسة أجبل (حراء ، وثبير ، ولبنان ، وجبل الطور وجبل الخير) فتمتعوا منه ما استطعتم [1] .

☜ الحنين إليها :

وتلك فضيلة أخرى من فضائل الكعبة أن المسلم تشتاق نفسه إليها وهذه حقيقة ثابتة .. فلقد شرف الله بيته على سائر الأماكن والأقطار بهذه الفضيلة .. فمن عظم الكعبة كان معظما مبجلا ومن أقبل عليها كان مولاه عليه مقبلاً ، فكم من محب مات شوقا إليها ولم يبلغ منها أملاً وأصبح لسان حاله يقول :

يا كعبة الحسن كم من عاشق قتل * شوقا إليك ورام الوصل ما وصل
قد يتمت بعده الأولاد حين سرى * وظل يبكي بدمع فاض منهمرا .

وروى عن جابر رضي الله عنه قال :

---

[1] رواه الطبراني في الكبير موقوفا : رجال إسناده (رجال الصحيح) " الترغيب والترهيب للمنذري ج ٢ / ١١٥ " .

قال رسول الله ﷺ :

" إن الكعبة لها لسان وشفتان ولقد اشتكت فقالت : يا رب قل عوادى ، وقل زوارى فأوحى الله ﷻ : إنى خالق بشراً خشعاً سجداً يحنون إليك كما تحن الحمامة إلى بيضها " [1] .

☜ حفظها أن يسكن بجوارها جبار :

فالله ﷻ حرم على بلدها مكة أن يسكنها جبار أو أن ينسب هذا البيت الحرام إلى جبار كما فعل بالبيوت الأخرى .. وكما سنذكر .

☜ مضاعفة ثواب العبادة بجوارها :

والعبادات والطاعات والشعائر التى تؤدى بجوارها .. لها ثواب عظيم وأجر جزيل مضاعف من الأماكن الأخرى .

وروى عن أبى ذر ﷺ ، أن النبى ﷺ قال : " إن داوود النبى عليه السلام قال :" إلا هى مالعبادك عليك إذا هم زاروك فى بيتك ؟ قال :

" لكل زائر حق على المزور حقا ياداورد إن لهم علىّ أن أعافيهم فى الدنيا وأغفر لهم إذا لقيتهم " [2] .

☜ مغفرة الذنوب :

عن ابن عباس ﷺ أن النبى ﷺ قال :

" من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وقد دعا الرسول ﷺ له بالمغفرة فقال : " اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج " [3]

---

[1] رواه الطبران فى الأوسط – مجمع الزوائد ، ح ٣ / ٢٠٨ (الترغيب والترهيب للمنذرى ح ٢ / ١١٧ .

[2] نفس المرجع السابق .

[3] رواه الترمذى وقال حديث غريب ، سألت البخارى عن هذا الحديث فقال : إنما يروى عن ابن عباس من قوله : " الترغيب والترهيب للمنذرى ح ٢ / ١٣٢" .

نزول الرحمة :

ينزل الله ﷻ على من حج هذا البيت الرحمة والمغفرة والسكينة والرضوان لمن طاف به أو صلى عنده أو نظر إليه وفى الحديث .

" النظر إلى الكعبة عبادة "[1]

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ينزل الله كل يوم على حجاج بيته الحرام عشرين ومائة رحمة : ستين للطائفين وأربعين للمصلين وعشرين للناظرين "[2]

الطواف حولها صلاة :

والطواف حول البيت صلاة أى كأنه فى صلاة والصلاة هى معراج العبد إلى ربه .. فعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال :" الطواف حول البيت صلاة إلا أنكم تتكلمون فيه ، فمن تكلم فيه فلا يتكلم إلا بخير "[3]

الطواف به كعتق رقبة :

وقد أخبر الرسول ﷺ أن الطواف حول البيت كعتق رقبة من ولد إسماعيل .. فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة "[4]

هدى للعالمين :

ومن فضائل هذا البيت أن الله سبحانه وتعالى قد جعله هدى للعالمين

يقول الله تعالى :

" إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ" آل عمران / ٩٦

---

[1] رواه أبو الشيخ عن عائشة .

[2] رواه البيهقى باسناد حسن " الترغيب والترهيب ج ٢ / ١٣٢ "

[3] رواه النسائى واللفظ له وابن حبان فى صحيحه (الترغيب والترهيب ج٢ / ١٣٢)

[4] رواه ابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحة ، راجع الترغيب والترهيب المرجع السابق .

ومعنى هذا أن الناس يهتدون إليه فى صلاتهم ولانه أمن من الخوف وشفاء من المرض وأن من أراد به سوءً عجل الله له العقوبة ..

والأدلة والبراهين واضحة وضوح الشمس . وإن شئت فاقرأ.

" ألمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ" الفيل / ١ ـ ٥

☜ **طاف به جميع الأنبياء :**

فضل الله ﷻ هذا البيت بطواف أنبياءه به ..

فعن عبد الله بن عباس قال :" كانت الأنبياء تدخل الحرم مشاه حفاة ، ويطوفون بالبيت ويقضون المناسك حفاه مشاه " [1]

وورد أن الأنبياء كلهم حجوا البيت إلا هوداً وصالحاً ، لتشاغلهما بأمر قومهما حتى قبضهما " [2]

☜ **يبعث منه سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب :**

وروى : أن الله يبعث من هذا الحرم كله سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ، يشفع كل واحد منهم فى سبعين ألفا ، وجوههم كالقمر ليلة البدر قال أبو بكر : ومن هم يا رسول الله ؟ قال : هم الغرباء " [3]

☜ **من رآها فى المنام فهى رؤيا حق :**

ومن رأى الكعبة فى المنام فهى رؤيا حق [4] والدجال لا يدخلها [5] ومن حج البيت أو أعتمر لا يزال يزداد هيبة وتعظيما وبرا " [6]

---

[1] ابن ماجه ٢/ ٩٦٧ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى طه عيسى الحلبى .

[2] ابن ماجه ٢/ ٩٨ والفتاوى الكبرى للهيتمى ٢/ ١٣٥ .

[3] إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشى تحقيق الشيخ أبو الوفا المراغى / ٢٠٢ .

[4] إعلام الساجد /٢٠٨ .

[5] المرجع السابق ٢١٥ .

[6] المرجع السابق ٢١٦ .

☜ شفاعة الكعبة للحجاج :

وإن الكعبة تشفع للحجاج فتقول : " يا رب عبادك المذنبون الذين وفدوا إليّ من كل فج عميق ، شُعثا غبرا ، تركوا الأهل والأولاد والأحباب وخرجوا شوقا إليّ زائرين مسلمين طائفين ، حتى قضوا مناسكهم ، كما امرتهم ، فأسألك أن تشفعني فيهم ، وتؤمنهم من الفزع الأكبر وتجمعهم حولي .

يا رب أسألك الشفاعة في المذنبين الذين ارتكبوا الذنوب العظام والاوثار حتى وجبت لهم النار ، فيقول الله تعالى ." قد شفعتك فيهم واعطيتك سؤلك ، فينادى ملك من السماء : ألا من زار كعبة الله ، فليعتزل عن الناس ، فيعتزلون ويلبون ، ثم ينادى ملك من جو السماء : ألا يا كعبة الله سيري فتقول الكعبة : لبيك اللهم لبيك والخير كله بيديك ، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .[1]

وروى :" أن الكعبة تحشر كالعروس المزفة ، ومن حمها تعلق بأستارها حتى تدخلهم الجنة "[2]

☜ استجابة الدعاء عند رؤيتها :

من المواطن التي يستجاب فيها الدعاء عند رؤية الكعبة المشرفة .

فعن أبي أمامه ، أن رسول الله ﷺ . قال :" تفتح أبواب السماء ويستجاب الدعاء في أربعة مواطن : عند التقاء الصفوف ونزول الغيث وإمامة الصلاة ورؤية الكعبة "[3]

لذا يستحب للحاج أو المعتمر إذا وقع نظره على الكعبة . رفع يديه ويسأل الله من فضله قائلاً :" لا إله إلا الله والله أكبر اللهم أنت السلام

---

[1] روض الصالحين في المواعظ والرقائق .

[2] إعلام الساجد للزركشي /٢٠٠ .

[3] إعلام الساجد /١٠٩ والفتح الكبير ٢/٣٣ ورواه الطبراني في الكبير

ومنك السلام ، وداركَ دار السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام . اللهم إن هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته ، اللهم فزده تشريفا وتعظيما ، وتكريما ومهابة وبرا وزد من شرفه ، ممن حجه أو اعتمره تعظيما وتشريفا وتكريما ومهابة وبرا " [1]

☜ لا ينقطع من عندها الطواف :

ومن فضائل الكعبة أنه لا ينقطع الطواف عندها على مدار اليوم والليلة لا ينقطع لحظة ، والرسول ﷺ قد أمر بهذا ..

فعن جبير بن مطعم : أن النبي ﷺ قال :" يا بني عبد مناف ، لا تمنعوا أحدا طاف بهذا البيت ، وصلى أية ساعة شاء ، من ليل أو نهار " [2]

☜ أن يكون آخر عهدة بالبيت :

وقد شهد الرسول ﷺ طواف الوداع ليكون الحاج والمعتمر آخر عهده بالبيت فعندما يريد الرجوع إلى أهله بعد فراغه من حجه أو عمرته وانتهاء إقامته بمكة المكرمة فيأتي به في آخر ساعة يريد الخروج فيها من مكة المكرمة بحيث إذا طاف لا يشتغل بشيء بل يخرج من مكة مباشرة .

يقول ﷺ :" لا ينفرن أحدكم حتى يكون آخر عهده بالبيت " [3]

☜ مثابة للناس وأمناً :

قال تعالى :" أولَمْ يَرَوْا أنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا " العنكبوت / ٦٧

وقال تعالى " وَإذْ جَعَلْنَا البَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا " البقرة / ١٢٥

فالله ﷻ جعل البيت مثابة للناس وأمنا أي يثوبون ويعودون إليه مرة بعد أخرى ولا يقضون منه وطرا .

---

[1] رواه الشافعي مرفوعاً إلى النبي ﷺ ، قال عمر .(فقه السنة ج١ /٥٨٥)

[2] رواه أحمد ، وأبو داود والترمذي وصححه .

[3] رواه مسلم .

وقال بعضهم : تكون فى بلد وقلبك مشتاق إلى مكة بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه ، وأنت متبرم بالمقام وقلبك فى بلد اخر .

ويقال :" أن لله تعالى عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا الى الله ﷻ

[1] وذكر بعض المفسرين : أن المقصود من هذه الآية أن من أدى فى العبادات والطاعات والصلوات والمناسك كان له ثواب عظيم كما أن هذا الحرم كان سبب فى الخير لأهل هذه البلد وللمسلمين . ولان الله تعالى حرم فيها القتل والصيد والحرب .

كما لن الله لعنه من اقامهة الحدود فيه .

☜ أول بيت وضع للناس :

قال تعالى :" إنّ أوّل بيْتٍ وُضِع للنّاس للّذي ببكّة مُباركًا - ال عمران / ٩٦

وقال سيدنا على بن ابى طالب البيت الحرام هو اول بيت فى الأرض وهو اول قبلة ، وهو أول بيت تعبد الناس فيه الله سبحانه وتعالى .

وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :" إن الطواف بالبيت افضل لأهل الأقطار والصلاة فيه لأهل مكة "

☜ من مات بجوارها لم يعرض ولم يحاسب :

من فضائل الكعبة أن الذى يموت بجوارها يدخل الجنة بغير حساب .

ففى الحديث " من مات فى احد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة " [2]

☜ يتوافق طواف الحج بصاحبه طواف الملائكة فى السماء :

ويتوافق طواف الحاج حول الكعبة فى عالم الشهادة مع طواف الملائكة حول البيت المعمور فى السماء فى عالم الغيب .

يقول الأمام الغزالى (ت ٥٠٥ هـ) فى كتاب أسرار الحج ..

---

[1] إحياء علوم الدين للغزالى ح١ /٣٥٣ وما بعدها

[2] رواه البيهقى فى الشعب ورواه الدار قطنى " إحياء علوم الدين للغزالى ح١ /٣٥٠ "

وأعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظنن أن المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت ، حتى لا تبتدئ الذكر إلا منه ولا تختم إلا به ، كما تبتدئ الطواف من البيت وتختم بالبيت ، واعلم أن الطواف الشريف هو الطواف بحضرة الربوبية ، وأن البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهي عالم الملكوت " [1]

[1] إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ج٣ / ٠٨٧ (دار الفكر بيروت)